اثر الزراعيين فى الزراعة المصرية

الكلمة التى ألقاها

حضرة صاحب السعادة فؤاد أباظه باشا

فى الحفلة الختامية لطلبة البكالوريوس بكلية الزراعة فى يوم ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٢

حضرات عميد وأساتذة الكلية ، سادتى ، أبنائى الطلبة :

دعانى حضرات منظمى هـذا الاحتفال العائلى لألقى كلمة عن أثر الزراعيين فى تقـدم الزراعة المصرية — وليس أحب إلىّ من الاجتماع بأبناء هـذا المعهد وذلك الوسط العلمى الذى يذكرنا بزمن الصبا والتحصيل والأمانى التى كانت تملأ قلوبنا وكلنا آمال فى المستقبل العظيم .

بعد قليل تجتازون أولى مراحل الحياة وتنتهون من دور التحصيل المدرسى وتواجهون حياة جديدة ، ولكن فترة التحصيل لم تنته بهذا الامتحان إذ تتصل بدور التحصيل الحقيق الذى يزيد من اعتداد المرء بنفسه ويساعده على الصمود لأعاصير الحياة .

لا شك أنكم ستصادفون صعابا فى أولى مراحل العمل . غير أن قليلا من الصبر والتأنى والمثابرة على الدرس سيجعلكم تتغلبون عليها وتتدرجون فى نموكم العقلى مع تقدمكم فى العمر ، وفى وسعى أن أسوق إليكم عددا كبيرا من النصائح ، بيد أنى أخص منهـا نصيحتين كثيرا ما ألقاهما علينا ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل فى نصائحه لخريجى هـــذا المعهد عند تعيينهم بالجمعية الزراعية الملكية وخصوصا القائمين بالأعمال الفنية وهما : المثابرة فى العمل مع التواضع ، والثانيـة المقارنة والقياس بأعمال السابقين منا ، وإنى لا أشير إلى قواعد الشرف والأمانة وحسن الخلق فهذه أمور لا جدل فيها وأنكم تتحلون بهـا .

فمصر بلد زراعى يحـترف أغلب أهله الزراعة وبذلك يمكن أن يدعى كل مصرى أنه زراعى فلا يضيركم هذا — أما فلاحها الصغير وإن قل ملكه أو رأس ماله فهو عامل مجد إله رأيه العملى الصائب فى كثير مما يقوم به ، إذ توارث قواعدها التى صمدت جيلا بعد جيل. فلا تحاولوا الإقلال من شأنه فإن الكثير مما يعمله تؤيده قواعدنا العلمية ، فيجب علينا إذا

ما اشتغلنا معه ألا نسفه رأيه لأول وهلة بل يجب التمشى معه و وزن خبرته واستخلاص السليم منها وما تقرره قواعدنا العلميـة ، ومهما أسرف الفلاح القح فى تعبيراته على طريقته وسليقته ففى وسعنا أن نستخلص منها شيئا مجديا بقليـل من الصبر والعمل على اكتساب ثقتـه ، و إذا تعمقت فى التمثيل فإن خوليا بسيطا قضى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة فى مزرعة ، فى وسعه أن يرشدك إلى الصالح والطالح من أجزاء المزرعة والعالى والواطى ، ومناسبة بعض الأعمال الزراعية مثل الرى وكميته وملاءمتها لكل زرعة فى بقعة خاصة .

وفى الواقع أمكن لكثير من إخوانكم الذين سبقوكم فى التخرج من هذا المعهد أن ينجحوا فى أعمالهم باكتساب ثقة الفلاح الصغير الذى برهن على أنه قابل للاقتناع بكفاءاتكم متى اكتسبتم ثقتـه وأقمتم الدليـل المـادى على خبرتكم — والواقع أن هـذا الفـلاح ينجح لو أعطى زمامه لأمثالكم من ذوى الخبرة الزراعية العلمية والعملية . بيد أن زمامه فى أيدى كبار الملاك ، وكثير منهم يدعى الخبرة الفنية الارتجالية ويديرون مزارعهم بزعمهم على أحسن وجه أو يؤجرونها لصغار الزرّاع من غير رقابة فنية حقة ، وقد لا تكون لدى هؤلاء السادة فكرة طيبة عن مقدرتكم ، وذلك نتيجة عدم تجربتهم إياكم وتباعدهم عن المشتغلين بالعلوم الزراعيـة منكم وانتظارهم أن تصـل وزارة الزراعة أو الجمعية الزراعية أو الكلية إلى عقر دارهم ، وفاتهم أن هذه الهيئات إنما تعمل بصفة عامة للصالح العام ، وقد يكون فى تنفيذ تشريعاتها ما يلائم تمـام الملاءمة ناحية من مصلحتهم المـالية فى الظاهر ، فالكثير قد لا يذكر لوزارة الزراعة إلا إجراءات تنقية الدودة ، وتطبيق قوانين الثلث أو التبخير الإجبـارى وهلم جرا . على أنه بالرغم عن وجود عـدد قليل من طليعة المزارعين الذين خبروا ما تقوم به الهيئات الفنية الزراعية من جهد فى أعمالها وأبحاثها وحبها لتطبيقها فإنه لو أقبل جميع كبار الزراع على بحوثكم لاستفادوا بمجهوداتكم ، واستفادت مزارعهم ، واستفاد بها فلاحها الصغير وتقدمت الزراعة المصرية عامة .

وليس اليوم الذى تتوثق الصـلة بينكم و بين مختلف الزرّاع ببعيد ، فأنتم رسل المعهد والهيئات الزراعية .

و إنى إذا تكلمت عن تاريخ بزوغ فجر النهضة الزراعيـة فإنمـا أشير إلى إنشـاء كليتنا الزراعية فى سنة ١٨٨٩ و بالطبع لا نبخس حق بعض الأفراد الذين نشأوا فى عهد المغفور لهما محمد على باشا واسماعيل باشا الذى كانت تدرس فيـه العلوم الزراعيـة مع غيرها من العلوم فى المدارس الحربية ، وقد بقى لنا من تراث هذا الجيل بضعة مؤلفات زراعية مفيدة من وضع المرحومين أحمد بك ندى وعثمان بك غالب وغيرهما من أعضاء البعثات بأوروبا .

قام أساتذة كلية الزراعة فى أوقات فراغهم على الرغم من ضيقها بدراسات قيمة لا نزال نرجع إلى بعضها حتى الآن مع تحوير بسبب تقدم العصر، وذلك فى مثل أبحاث طمى النيل وفائدته وتحليلات الحاصلات المصرية والدورات الزراعية والبدء فى تغذية الحيوانات تغذية صحيحة على أسس علمية — على أن الفرصة لم تتح لنشر أمثال هذه المباحث التى كانت منحصرة فى دائرة المدرسة الضيقة إلا بعد تكوين الجمعية الزراعية الخديوية فى أبريل سنة ١٨٩٨

وتعتبر الجمعية الزراعية بحق معهدا ثانيا لعدد كبير من خريجى معهدكم كونوا فيه حياتهم الزراعية والفنية ، وكان من معظمهم نواة مصلحة الزراعة المصرية، فمن أقدم المنشآت الفنية فى مصر أقسام الكيميا والنبات والحشرات فى الجمعية الزراعية، إذ أنشئت هذه الأقسام وقت تكوين الجمعية وسارت بالأبحاث شوطا بعيدا حتى وقتنا هذا ، وفيها نبتت أول هيئة فنية مصرية تعنى بشؤون علوم الكيميا الزراعية والنباتية والحشرية .

وكان من نتيجة قيام الجمعية الزراعية بأعمال الأبحاث ونشرها فى مختلف الجهات وإنشائها العلاقات المتينة بينها وبين أعيان المزارعين بواسطة اللجان الزراعية التى كانت مؤلفة فى كل مركز من مراكز القطر ويسوسها خريجو معهدكم وقتئذ فتناقش فى مختلف الشؤون الزراعية — أن مهد السبيل لإنشاء مصلحة الزراعة فى سنة ١٩٠٩ لغرض الاستمرار فيما بدأت به الجمعية من الأعمال وتوسيع نطاقها تحت إشراف الحكومة ، وقد بدأت هذه المصلحة صغيرة ثم كبرت بما انضم إليها من المنشآت والمصالح والهيئات مثل أقسام الطب البيطرى والبساتين بخلاف ما أنشأته من الأقسام الفنية الأخرى كالحشرات والكيمياء والنباتات فصارت وزارة للزراعة فى سنة ١٩١٥ — ويقوم بجميع الأعمال الفنية فيها رجال من معهدكم هذا تدرّجوا فى أعمالها .

كذلك تذكرون مصلحة الأملاك الأميرية وكانت خيرعون لكل باحث فى الشؤون الزراعية ففيها نبغ كثير من الزراعيين العاملين من أبناء معهدكم هذا وكذلك وزارة الأوقاف العمومية والخاصة الملكية وغيرها .

أما نتيجة أبحاث تلك الهيئات فى مصر وأثرها فى تقدم الزراعة فصفحات مشرقة ولا يمكن تفصيلها فى هذه الكلمة كما لا أحاول تخصيص ما قامت به كل هيئة أو اسناد فضل لواحدة منها فالكل متعاونون ويعملون لغاية واحدة . فاذا أشرت إلى أعمال هذه الهيئات فإنى فى الحقيقة أعنى خريجى معهدكم فهم القائمون بعبء هذه الأبحاث — وكان من باكورة الملاحظات أن محصول الأرض المصرية فى الفلال والذرة مثلا كان لا يتناسب مع قوة إنتاجها، والمعروف عن خصبها، ففكر فى استيراد الأسمدة الكيماوية بعد بحث وتمحيص

وتجارب فى مختلف أنحاء البلاد عن المحاصيل المختلفة مع اعتبار أولى وهو أن تكون الأسمدة الكيمائية مساعدة لكميات السماد البلدى والطبيعى فحسب . وقد كان لاستعمال الأسمدة الكيمائية أفضل الأثر فى زيادة غلة الأرض المصرية و إمكان زراعة محاصيل متعاقبة وزيادة الثروة القومية .

وفى باكورة الأبحاث لم تغفل أعمال التنقيب عن مناجم الأسمدة من النترات والفسفات أو مركباتها الطبيعية مثل الطفلة والماروج والكفرى فعرف النافع والضار منها وقيمتها .

وكان من سعة الأبحاث عن الأرض والتربة الزراعية أن سهلت عمليات اصلاح الأرض المجدبة والتى كان نجاح الزراعة بها قليلا . كذلك أمكن الاستفادة بتيسير عوامل الخصب المفيدة فى التربة وعدم عرقلتها باتباع طرق الخدمة الملائمة لها . واستعمال السماد بالطريقة المثلى وأحسن الأوقات المناسبة لاستعماله ، ومن أهم الظواهر معالجة الأرض القلوية والتى ما كانت لتنجح فى اصلاحها طرق الغسيل والصرف فأرشد المزارعون إلى طرق إصلاحها بعد أن ثبت وجودها فى جميع أنحاء القطر ، كما أرشد المزارع لأحسن المواعيد لاستعمال الأسمدة الكيمائية والبلدية ، كما أرشد لأفضل الطرق لتحضير السماد البلدى الطبيعى والسماد البلدى الصناعى من متخلفات الحقل والحيوانات والسلخانات ، وقواعد تسميد كل محصول على حدة فزادت كمية الغلة مما عاد على البلاد بأرباح كثيرة ، ولم يغفل الإرشاد عن مياه الآبار الصالحة للرى والضارة وتأثير سوء الصرف وخير الطرق لصرف الأرض .

وكان تقدم الأبحاث النباتية عظيما فائقا فأدخلت الأنواع الحديثة من النباتات والحاصلات وحسنت بما زاد من إنتاجها وقوة مقاومتها للآفات مثل أنواع القمح الهندى وغيره والأرز اليابانى وغيره والذرة الأمريكية ذات المحصول الوفير وأنواع القصب — أما عن القطن فحدث عنه ولا حرج إذ أوجدت أنواع كثيرة جديدة منه كان لها أكبر الأثر فى إنماء دخل البلاد وبالتالى ثروتها — وأنواع القطن المستحدثة أو المنتخبة لها صفات مختلفة بحيث يلائم كل منها أغراضا خاصة وذلك مثل الأقطان الصعيدية المختلفة أى الأشمونى ومشتقاته وهى وافرة المحصول وغيرها مثل جيزة ٧ وسخا والمعرض والوفير والكرنك وغيرها وبالجملة حفظت هذه الأنواع سمعة مصر كأحسن البلاد القطنية إنتاجا وزادت ثروتها .

أما الأبحاث الحشرية فلها أهميتها أيضا وقيمتها من حيث تقدم الزراعة وصيانة المحصول من فتك الحشرات فقد عمل الإخصائيون منكم على دراسة آفات القطن وطباعها وآفات المحاصيل المختلفة مما استرشد به الزراع فى وقاية محصولاتهم و إبادة هذه الحشرات — وقد عمل إخصائيوكم على تنوير أذهان المزارعين و إزالة ما كان عالقا بأذهانهم من المعتقدات

الوهمية التى لا أساس لهـا من الصحة وسنت لإبادة الحشرات بعض تشريعات عظيمة الفائدة وفريدة فى بابها وبالجملة تقوم المقاومة بأحسن ما فى الإمكان — وقد شهد الخبراء العالميون الذين كانوا استحضروا لدراسة ما تقوم به مصر من طرق الوقاية فلم يجدوا ما يضيفونه الى هذه الطرق .

ولم يكن شأن المختصين بالأمراض الفطرية أقل أهمية من الأمراض الحشرية .

أما الخضراوات والفاكهـة وأشجار الزينة والخشب والزهور وغيرها فقد قام خريجو معهدكم بالاشارة باستيراد ما يصلح منها لهذا البلد وآثارهم واضحة جليـة لكل من له صلة بالحدائق والخضراوات — وأصبحت الأصناف الجيدة فى متناول كل شخص بالاتصال بكم — وقد استطاعت مصر أن تصدر قبيل الحرب كميات من الفاكهة والخضر لأوروبا .

يبقى موضوع الصناعات الزراعيـة وهو موضوع هام للافادة مما تنتجه مصر من الحاصلات الزراعية وتحويلها إلى منتجات أكثر قيمة وأقوى على البقاء والحفظ للانتفاع بها فى أوقات تكون فيها غير موجودة أو أثمانها مرتفعة — كما أنه يمكن الافادة بهـا ماديا بتصديرها إلى الخارج مما يدر الخير على البلاد ماديا من حيث زيادة الثروة ، وعمليا من حيث إيجاد عمل لصناع مصريين قد يكونون بدونه عاطلين عن العمل خصوصا وعدد السـكان فى مصر يتزايد زيادة مطردة ، وغير ذلك من الفـوائد ، ولا حاجة لتذكيركم بأهمية هـذا الموضوع فهاكم منشآت الصناعات الزراعية فى الـكلية ولا تزالون تشتغلون بها وتلمون بأسرارها ، وأعتقد أنكم قد وفيتم جانب التحصيل ، وهاكم مؤلفات أستاذكم عن الصناعات الزراعية التى ألم فيها بأطراف الموضوع من الوجهات العلمية والعملية والاقتصادية والتطبيقية أيضا — وكذلك صناعة الألبان ومنتجاتها قد أعطيت عناية خاصة من الدرس والتجربة — فدعونى أصارحكم بأن مصر تنتظر من الاخصائيين فى الصناعات الزراعية الشىء الكثير ، وأن يكون الخريجون من الكلية رسل العمل على التوسع فى تطبيق أبحاثهم — وقد رغبت الجمعية الزراعيـة الملكية من جهتها فى أن يشمل نشاطها إنشاء مؤسسات صناعية زراعيـة وتستنير بآراء المشتغلين بدراستها سواء فى الكلية أو فى قسم البساتين ووزارة التجارة أو الهيئات الأخرى الحرة وكلهم من خريجى معهدكم لتتعرف أسباب النجاح وأسـباب الفشل وترجو أن تصل بذلك إلى دعائم ثابتة لمشروعاتها .

وفى الختام أحييكم وأشكركم لاستماعكم وأهنئكم سلفا .

فؤاد أباظه